السوري الماشي على الحافات

يوسف عبدلكي

رسام الواقع الذي ينتجه الوهم

عام 1976. نال شهادة الدكتوراه من

جامعــة باريس الثامنة عــام 1989. قبلها

تتمين سيرة عبدلكى بصفتين

منحتاه الشهرة التي هـو عليها اليوم،

ليس الرســم الزيتي وهو مــا يبقىٰ يذكر

بموهبته العالية من بينها. كان عبدلكي رسام كاركتير ومصمه أغلفة كتت

وملصقات بحكم خبرته الغرافيكية.

هـذا مـن جهـة ومن جهـة أخـرى، كان

ناشطا سياسيا معارضا نجح في رسم

لوحات تمثل الحياة في الأقبية السرية

التي أقامتها الأجهزة القمعية لتعذيب

المعتقلين السياسيين. وبسبب الطاقة

الرمزية والإيحائية الشاملة التي تميزت

بها تلك اللوحات فقد تحولت إلى ما

يشبه الأيقونات بالنسبة للسياسيين

إلى دمشق اعتقلته الأجهزة الأمنية

عبدلکی یقدم نفسه، وعبر

ربع قرن من الزمن، كرسام

كاريكاتير وكحفار ورسام لوحات

جدارية في الوقت ذاته، كانت

المسافة بين الممارسات الثلاث

مدروسة بدقة وإن كان الرسام

قد استفاد بقوة من الحفار حتى

أخفاه بين لوحاته

عام 2013 فيما كان عائدا من طرطوس

باریس غیر أن پدرس؟



حان علیه أن يدرب نفسه طويلا لكي يخلص إلىٰ نزعة وصفية، كانت كامنة في أعماق نفسه. عليك أن ترى العالم جميلاً لكى تكون منصفا في وصف جماله. كيف يمكن اقتناص تلك الرؤية في ظلمات السحن؟ تلك فكرة كابوسية غير أنها

يمكن ليوسف عبدلكي أن يقول لك "المرح هو الجزء الذي يبقى من الحقيقة". هـى مقولة أقام عليها معادلة حياته التي التهمت السياسة الجزء الأكبر منها. السياســة بالنسبة له هي فن العيش على

الرسم قىل كل شيء آخر

يمكن أن تكون واقعية بضراوة.

بغض النظر عما كان يرسمه لم يمر عليه يوم لم يكن فيه سياسيا. ذلك ما يكشف عن مهارة روحية عميقة تمكنه من التميين بين أمور يعيشها المرء من غير أن يدرك ما تنطوي عليه من تناقض. فهو على سبيل المثال كان عبر ربع قرن من الزمن رسام كاريكاتير وحفارا ورسام لوحات جدارية في الوقت نفسه. كانت المسافة بين الممارسات الثلاث مدروسة بدقة وإن كان الرسام قد استفاد بقوة من الحفار حتى أخفاه بين لوحاته.

حين يرى المرء "عارياته" فإنه ينسي رسام السجون. تلك موهبة لا تمت إلى المهارة التقنية بصلة بقدر ما هي خلاصة حياة، نجح صاحبها في أن يرى الوجود بحجمه الحقيقي. فالسياســـة ليســت كل شيء بالرغم من أن مَن اتبحت له فرصة التعرف بطريقة عرضية على عبدلكي في الحياة المباشرة لابد أن يجزم أن ذلك الشـخص كائن سياسي بامتياز. عبدلكي في حقيقته هو رسام قبل أن يكون أي

شعفه بالتفاصيل الحية دفعه إلى اختبار قدرته على إضفاء نوع من الحياة على الأشياء الجامدة. كانت حفرياته قد مكنته من الوصول إلى صورة متخيلة للشيء هو الصورة التي تحفظ له

في مرســمه الباريســي قال لي معلقا علىٰ مشهد سمكة في ثلاجة "إنها للرسم وليست للأكل". لقد نحت تلك السمكة لقد رأيتها في ما بعد على الجدار في

بسبب توقيعه على بيان يطالب منزل صديق بالبحرين. لو أني رويت تلك الحادثة لعبدلكي لاعتبرها مزحة يمكن البناء عليها بما يهيئنا لتأليف رواية. السياسي الذي يقف في الطريق ولد عبدلكي في القامشــلي عام 1951. تخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق

درس الحفر وحصل على الدبلوم من المدرسية الوطنية العليا للفنون الجميلة عام 1973 أقام أول معارضه الشخصية في دمشق. وعاد في العام 2005 إلىٰ وطنه سيوريا وأقام له مرسيما في قلب دمشق القديمة، بعد غياب حوالي ربع قرن قضاه بباريس. ما الـذي كان يفّعله عبدلكي في

رسام مصائر في حياة متخيلة

لا يحدثك عبدلكي عن الحرفة. بالرغم من أنى حاولت ذات مرة أن أثير انتباهه إلى أنه صار يمتحن نفسه ويحملها أكثر مما يجب من خلال تقنية يعتمد من خلالها على خسرات سابقة. يومها لـم يخبرني بأنى قد أسات الفهم. لم يشا أن يفك الاشتباك. لكن على أن أعترف بأن تمكنه من الحرفة للم يكن يثير

الطبيعي من غير تكلف. كان هناك ما يشهله دائما. سؤال من نوع "ماذا بعد الحرفة؟" خيالــه لا يفــارق الواقع. فهو ليس مـن النوع الذي يبحث عن مستويات يتدرج المتلقى من خلالها

أصلها. هل هو رسام واقعي؟ ذلك سؤال في حياته المباشرة لا يمكنك أن تضع حدا فاصلا بين الواقع والخيال. لا

وهو يبتسم.

لديه أي رغبة في الإشهار. كان كل شيء يجري في سياقه

لفهم لوحته. لوحته صريحة. إنه يرسـم حمامــة لأنه أحــب أن يرســم حمامة. لا تحمل كائناته طاقة رمزية هي ليست من

لشيىء إلا لأنه اكتشف أن الحقيقة تكون في كأمل أبهتها في الوهم. أليس الرسم وهما؟ كما أن المزحة بالنسبة له تحتمل الكثير من التفسيرات الجادة. عبدلكي

الرئيس السوري بالتنحي. يومها انطلقت حملة عالمية كبيرة للمطالبة بإطلاق سراحه. شارك في تلك الحملة الآلاف من المبدعين من مختلف أنحاء العالم كما نشرت الصحف الثقافية صورته الشخصية على أغلفتها. ذلك ما اضطر السلطات إلى إطلاق سراحه وخرج من المعتقل بقميصة الأحمر

قبل أن ينال جائزة النيل 2018 أقام عبدلكي عشرات المعارض الشخصية. كان آخرها معرض عارياته الذي أثار لغطا بين مؤيديه ومعارضيه. يومها احتد النقاش وكان مناسبة، استطاع عبدلكي من خلالها أن يطرح مفاهيم جديدة لعلاقة الرسم بالواقع من خلال . تلك المفاهيم، كأن عبدلكي قد عبر عن حالة من النضج لم يصل إلَّيها كثيرون ممن كانوا إلى وقت قريب يشيدون بنضاله عن طريق الفن.

لقد حدثني ذات مرة في بيت معلمه إلىاس الزيات عن هيسة معلمه الآخر

محمود حماد، وكيف كان يراقبه بحذر.

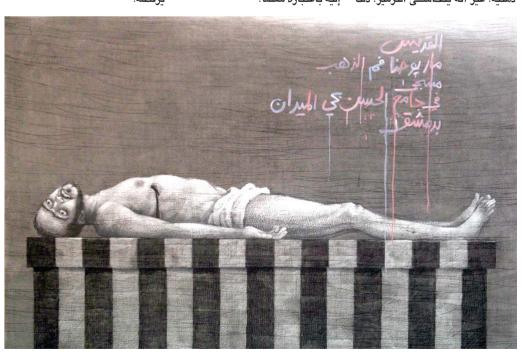
لذلك فإنه يخشك أن ينظر إليه الآخرون

بالطريقة نفسها. "كائن عيش". يمكنه أن يتجلى من خــلال تلك الصفة. الكمال الذي يبدو في لوحاته قد يكون سببا في تعثر خطواته وهو يرى فيه فألا سيئاً. ذلك ما يحاول عبدلكي محوه من ذاكرة المحيطين به وجلهم من الشباب. كان يود أن يقول لهم "انظروا إلىٰ أخطائي". ولكنه يبحث عن النقص في الكمال الذي



ليس من النوع الذي يُخدع بالمظاهر ولا

تعجبه الحذلقة التي هي عبارة عن طلاء



لأنه يفضل أن تعيش الأشبياء

والكائنات التي يرسمها حريتها

في التحول والتلاشــــيَّ أو حتىٰ الفُناء. عمــل عبدلكي في السياســة وهو يعرف

معنى سوء الفهم. غيس أن ذلك لا يعني

